مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد (34) العدد الثاني (ديسمبر 2018)

# *البلور والزجاج عبر العصور الإسلامية

**د. جمال أحمد المويز[1] ، د. عادل المبروك الفار[2]**

[1] كلية الآثار والسياحة، جامعة المرقب، ليبيا.
[2]قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة صبراتة، ليبيا.

adelalfar70@gmail.com

## المقدمة

تعتبر التحف البلورية والزجاجية من أجمل وأبهى التحف الثمينة التي عرفتها الفنون الإسلامية عبر عصورها المتعاقبة، فقد بلغ الفنان المسلم الذروة في صناعتها وتشكيلها الزخرفي، وأعطى اهتمامه البالغ في إنقاذها وصيانتها، وذلك نظرا لاستخدامها المستمر كتحفة رائعة في حياته اليومية العادية والزخرفية. وعرف الإنسان البلور قبل أن يعرف الزجاج، ونظرا لقلة مادة البلور لجأ إلى الزجاج، واستطاع أن يصنع منه جميع التحف التي يحتاجها كالأواني والكؤوس والصحون وغيرها.

وقد أهتم الخلفاء والأمراء بصناعة التحف الزجاجية والبلورية لجمالها وبهجتها، واتخذوا من الزجاج لوفرته الأواني والعلب والكؤوس، كما اتخذوا منه أيضاً تحفاً زخرفية رائعة في قصورهم ومنازلهم.

وقد شهدت صناعة التحف الزجاجية والبلورية تقدماً مذهلاً مع ظهور الدولة الفاطمية بمصر، وأصبحت الدولة الإسلامية فيما بعد صاحبة الريادة في صناعة الزجاج، لذا فإن موضوع الزجاج والبلور يعد من المواضيع المهمة في الفنون الإسلامية، هذا الموضوع الذي لم نعرف عنه الشيء الكثير حتى الآن، لذا

فسنحاول في هذا البحث تناول نشأة و تطور الزجاج والبلور باعتبارهما تحف فنية و زخرفية عرفتها الفنون خلال العصور الإسلامية المتتالية و سنركز على وجه الخصوص على تطور هذا الفن خلال العصر الفاطمي باعتباره من أزهى عصور تطور هذا الفن.

**المصطلحات:**

- البلور: كلمة عربية الأصل ،وهى إحدى مركبات السيليكا تخلط بالصودا أو البوتاس أو بكليهما معاً.
- البلور: كلمة فارسية الأصل، وهو جوهر أبيض شفاف، يعد من الأحجار الكريمة.
- اللون الأرجواني: هو اللون الأحمر القاني.
- أشكال خلايا النحل: سداسية الشكل.

**مبحث البلور:**

البلور كلمة فارسية، وجاءت من بلّر، تبلّر تبلور أي صار شبيهاً بالبلور، والبلور نوع من الزجاج، وهو جوهر أبيض شفاف[1].

وأروع ما وصلت إليه الصناعة الفنية بحص هي الأشياء المتقطعة من البلور الصخري كالدوارق والصحائف والأوعية الصغيرة وقطع الشطرنج، كلها تعتبر من عجائب الاجتهاد الفني في الشرق.[2]

[1] البستاني ،كرم وآخرون ، قاموس المنجد في اللغة والأعلام ، ط2، دار المشرق، بيروت، 1982م، ص84.

[2] كونل، أرنست الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، دار صادر بيروت، 1966م، ص52.

وقد ازدهرت صناعة الأواني البلورية في العصر الفاطمي، والبلور الصخري يوجد في باطن الأرض ويعد من أنفس المواد التي تعمل التي تعمل منها الأواني وقطع الشطرنج.[1]

ومن أجمل ما أنتجه الصناع في العصر الفاطمي أواني زجاجية صنعت من البلور الصخري، والظاهر أن هذه الأواني كانت مفضلة عند بعض الخلفاء الفاطميين، حيث عثر على عدد منها منقوش باسمهم مما سهّل معرفة تاريخ صناعتها، وبمتحف فكتوريا وألبرت إبريق مزخرف برسم صقر ينقض على غزال، ولقد استخدمت هذه الأواني في الكنائس الأغراض دينية، وذلك يعد أن أضيف إليها تلبيسات معدنية، ولقد شاع استخدام العناصر الساسانية في الزخارف الفاطمية حتى أواخر عهد الدولة.[2]

وأجمل الأواني البلورية محفوظ الآن بمتحف فيينا ، وضمن كنوز كاتدرائية سان ماركو بالبندقية، وفي متحف فيكتوريا وألبرت، وقصريتي بفلورنسا، ومتحف اللوفر، وعلى كثير من هذه الأواني البلورية أسماء عدد من الخلفاء الفاطمي.[3]

ومن التحف البلورية الإبريق الكمثري الشكل، وهذا الإبريق بالغ حد الروعة من حيث الصنعة والزخرفة وعليه رسم أسدين قابعين تفصلهما شجرة مفرعة، أما الزخرفة فبارزة وتفاصيلها منقوشة أو مقطوعة ،وشاعت في العصر الفاطمي تحليه قطع البلور بالزخارف النباتية المتنوعة ورسوم الطيور والحيوانات فرادي أو جماعات.[4]

ووجد بمتحف فيكتوريا وألبرت بلندن، إبريق من البلور الصخري مصنوع في القرن الحادي عشر الميلادي، وقوام الزخرفة على هذا الإبريق مجموعتان من

---

[1] الألفي، أبو صالح، الفن الإسلامي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1984م، ص272.

[2] علاَم، نعمت إسماعيل، فنون الشرق الأوسط، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص125.

[3] ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف، ط2، القاهرة،1982م، ص 226.

[4] نفس المرجع، ص226

رسوم الحيوان تتألف كل منها من رسم صقر ينقض على غزال ليفترسه، وبين الرسوم فرع نباتي كبير ينتهي بحلزونات ووريقات وأنصاف وريقات نباتية، والملاحظ أن الزخرفة تبرز واضحةً بسبب ترك أجزاء كبيرة من المهاد خالية من الرسوم ،وترجع هذه التحفة إلى نهاية القرن العاشر وبداية الحادي عشر الميلادي في الوقت الذي بلغت في صناعة التحف البلورية من البلور الصخري أوجّ ازدهارها بعد بدايات متواضعة خلال القرنين التاسع والعاشر الميلادي.[1]

كما وجد إبريق كمثري الشكل من البلور الصخري محفوظ حالياً ضمن كنوز كاتدرائية سان ماركو بمدينة فينيسيا (البندقية) وهو يعود إلى العصر الفاطمي، وقوام الزخرفة فيه رسم لأسدين بينهما شجرة الخلد، وعلى المقبض تمثال خروف صغير، وبين رقبة الإبريق وبدنه شريط من الكتابة الكوفية نصه،(بركة من الله للإمام العزيز بالله)، هذا الإبريق هو إحدى تحفتين رائعتين من البلور الصخري تعودان إلى مصنع العصر الفاطمي، التحفة الثانية حلقه من البلور على شكل هلال محفوظة في المتحف الجرماني بمدينة نورنبرج بألمانيا وعليها عبارة بالخط الكوفي تقول (لله الدين كله، الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين) [2].

وقد تم العثور في متحف كاتدرائية سان ماركو بالبندقية أيضاً شمعدانين إيطاليين من القرن السادس عشر الميلادي بهما أجزاء من البلور الصخري، وتمتاز بزخارف نباتية من وريقات على شكل قلب، ووريقات عنب خماسية الفصوص ومراوح نخيلية مقسومة وكل هذه الزخرفة بأسلوب القطع المائل أو الحفر المشطوف الذي عُرف في الزخارف العباسية التي ازدهرت في سامراء، والتي انتشرت منها إلى كثير من بلاد العالم الإسلامي.[3]

---

[1] حسن، زكي محمد، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت،1981م، ص494.

[2] نفس المرجع، ص494.

[3] نفس المرجع، ص494.

**لمحة عن الزجاج المبكر:**

عرف الشرق العربي صناعة الزجاج منذ أيام العرب القدماء، وقد استمرت أساليب هذه الصناعة سائدة ،كما كانت في القرن الأول للهجرة، واشتهرت دمشق وحلب وأنطاكية وصور وعكا والخليل بأنواع الزجاج الشاي الذي كان يضرب المثل برقته ونقائه وزخارفه.[1]

وتعود صناعة الزجاج إلى عصور سابقة للإسلام ،وقد احتفظت مصر وسوريا بتفوقها في صناعته في العصور الإسلامية ، حيث صُنعت عديد من الأواني من الزجاج كالقوارير والزهريات والأكواب، وكانت القطع التي وصلت إلينا من القرنين الثامن والتاسع الميلادي وهي إما خالية من الزخرفة أو مزخرفة بزخارف على شكل الخيط البارزة ،أو الأقراص والكتابات والدوريات والطيور والحيوانات. [2]

ووصلت صناعة الزجاج في مصر القديمة إلى درجة عظيمة من الإتقان، ووجدت بها عدة مدن اشتهرت بمصانع الزجاج، أبرزها الإسكندرية والفسطاط والفيوم، وورث الأقباط هذه الصناعة وأبدعوا فيها، حتى أنه قيل أن من بين هدايا المقوقس ملك مصر، التي أهداها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كأساً من الزجاج، وهذا ما يدل على ازدهار هذه الصناعة قبيل العصر الإسلامي هناك.[3]

وقد طوّر المسلمون صناعة الزجاج في الأقطار التي فتحوها بما في ذلك مصر وأقطار أخرى مثل الشام والعراق وإيران، ولكن كانت مصر وبلاد الشام على وجه الخصوص الأكثر شهرةً في مجال هذه الصناعة، ولهما مركز الصدارة فيها، وربما يرجع السبب في ذلك إلى العناية التي أولاها المسلمون لصناعة

---

[1] الرفاعي، أنور، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، دار الفكر، القاهرة، 1973م، ص160.

[2] الألفي، أبو صالح، مرجع سابق، ص272.

[3] الطايش، علي أحمد، *الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة*، دار زهراء الشرق، القاهرة، 1999م، ص45.

الزجاج والاهتمام بها وتطويرهم لحاجتهم إلى الأواني الزجاجية التي استخدموها في وظائف كثيرة.[1]

وأغلب ما وصلنا من الأواني الزجاجية من القرنين الثامن والتاسع الميلاديين خالٍ من الزخرفة، أما القليل الباقي فاتّبعت في زخرفته أساليب مختلفة، مثل الخيوط البارزة، وأشكال خلايا النحل والكتابات وغيرها من العناصر الزخرفية ،ومن بين الأواني المزخرفة التي عثر عليها في مصر وسوريا والعراق وإيران، أكواب وأباريق أشكالها على هيئة الكمثرى.[2]

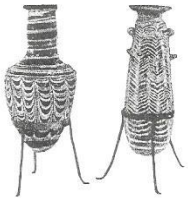

**قنينتان من الزجاج في فجر الإسلام عن (حسن : 1981 م : 249 ) بمتحف كلية الآداب بجامعة القاهرة**

**كأس من الزجاج في فجر الإسلام عن (حسن : 1981 م : 249)**

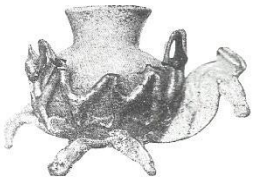

**قنينة من الزجاج في حامل زجاجي على هيئة جمل عن (حسن : 1981 م : 249 )**

[1] نفس المرجع، ص45 .

[2] ديماند، مرجع سابق، ص ص 230-231.

**طريقة تشكيل الزجاج وزخرفته:**

يتم تشكيل الأواني الزجاجية بطريقتين، الأولى هي التشكيل بالنفخ في الهواء، وتتم هذه الطريقة بعد أن تنصهر الأواني مكونات الزجاج وتصبح عجينة لينة يلتقط الصانع بنهاية أنبوب معدني قطعة عجينة مكورة ،وينفخ فيها من بداية الأنبوب، فيندفع الهواء المضغوط إلى وسط العجينة فتنتفخ جوانبها، ويعتمد تشكيل الآنية بحركات دائرية في الهواء ،وبعد أن ينتهي تشكيل الآنية بالشكل المطلوب توضع في جيب التكيف.[1]

أما الثانية فهي التشكيل بالنفخ في القالب، يتم خلالها استخدام أنبوب معدني يلتقط الصانع بنهايته عجينة زجاجية لينة ويضعها في قالب من قطعتين مكونتين غالباً من مزيج من الرمل والطين لكي يسهل تفتيتهما بعد ذلك بواسطة الماء والحفر ،ثم ينفخ الصانع هذه العجينة الزجاجية داخل القالب فتأخذ شكل القالب، ويكون القالب في أحيان أخرى القالب من الفخار أو المعدن أو الخشب، وتكون أشكال الأواني في هذه الحالة أكثر انتظاماً واتقاناً من طريقة النفخ في الهواء.[2]

ومن الأساليب القديمة المعروفة أيضاً نقش الزجاج وحفره إما باليد أو بواسطة عجلة خاصة بذلك، وما بمصر وسوريا من الزجاجات والأباريق من هذا النوع إلا أمثلة بسيطة في زخارفها، وهى لا تعدو أن تكون أشرطه أفقية وخطوط متموجة.[3]

وعرفت الأواني الزجاجية عدة طرق للزخرفة ،منها الزخرفة بالقالب، وتتم هذه الطريقة بأن يأخذ الصانع قطعة من عجينة الزجاج المصهور وهي لينة بنهاية أنبوب معدني، ويصنعها داخل قالب من الفخار أو المعدن أو الخشب يكون

[1] الطايش،علي أحمد ، مرجع سابق، ص47.

[2] المرجع نفسه، ص47.

[3] ديماند، مرجع سابق، ص 232.

مضلعا أو على هيئة خلايا النحل ثم ينفخ في بداية الأنبوب فيأخذ بدن الآنية الخارجي نفس شكل التضليع أو خلايا النحل.[1]

كما أن هناك طريقة أخرى تُعرف بالزخرفة عن طريق النقش، وتتم بعد أن تشكل الآنية، ويقوم الصانع بالنقش على بدنها وهي ساخنة، حيث تكون عجينتها لينة بآلة تشبه الملقاط، وذلك يسحب أجزاء إلى خارج من العجينة الزجاجية لسطح الآنية الخارجي في أشكال زخرفية جميلة، وعُرفت كذلك الزخرفة بالمينا، حيث ورث المسلمون زخرفة الزجاج بالمينا، ولكنهم ابتكروا فيها طرقا جديدة لم تُعرف من قبل وهي تثبيت الزجاج بالحرارة بعد أن كانت على البارد.[2]

**العصر العباسي:**

وشهد هذا العصر عدة طرق للزخرفة ،فالأواني الزجاجية فيه زُخرفت بالبريق المعدني، وزُخرفت أيضاً بإضافة البربوتين، وزخرفت بالقطع، كما عُرفت الزخرفة بالختم، والزخرفة بالقطع والتي استخدمت بديلاً للأحجار الكريمة، وبالأخص في الأواني ذات الجدار السميك، والزخرفة بالختم ،حيث يضغط على تحفة الزجاج الساخن بخاتم معدني عليه زخارف.[3]

وحليت مجموعة من الزجاج منذ العصور الإسلامية الأولى ،بزخارف مختومة تتكون عادة من خامات مستديرة تضم داخلها أقراصا صغيرة ورسوم حيوانات أو كتابات كوفية، ويزين بعض قطع تلك المجموعة أختام ونقوش مصنوعة بآلة كالملقاط، بالإضافة إلى الأشكال الهندسية.[4]

[1] الطايش، علي أحمد، مرجع سابق، ص48.

[2] نفس المرجع، ص49.

[3] نفس المرجع، ص ص 48-49.

[4] ديماند، مرجع سابق، ص 231.

وفي متحف برلين يوجد كأس من الزجاج، من مصر أو الشام يرجع إلى فجر الإسلام، هذه التحفة مثال طيب من الزجاج ذي الرسوم المختومة الذي كان يصنع في تلك الفترة، وتضم الرسوم البارزة في الأختام أشغال حيوانات خرافية. [1]
ولم يقتصر قطع الزجاج بواسطة العجلة في العهد الإسلامي الأول على الأشكال البسيطة، فقد وصلتنا من مصر والعراق وإيران أمثلة عليها زخارف متفاوتة الارتفاع والبروز من رسوم الأنهار والحيوانات، وعثر بسامراء على مجموعة عظيمة من بقايا قطع من الزجاج البلوري النقر من القرن التاسع تزينها زخارف مجموعة محفورة حفرا غائرا، ويمكن اعتبارا هذه المخلفات العباسية من إنتاج بغداد بالذات لماذا عنها من شهرة في صناعة الزجاج ذي الزخارف المقطوعة.[2]
ونرى في عدد من الأواني الإيرانية والعراقية من صدر الإسلام استخدام العجلة في زخرفتها فتتكون بذلك أقراص بارزة وخامات غائرة موجود بعضها إلى جانب البعض على شكل أقراص بارزة بالجامات الغائرة، ويحتمل أن يكون هذا النوع من الزخارف المقطوعة قد أُخذ عن البلور.
ومن القطع الزجاجية المزخرفة بالحفر، والجديرة بالاهتمام في صدر الإسلام، جزء من صحن أزرق عثر عليه بمتحف المتروبوليتان من نيسابور، وتزينه زخارف محفورة من تفريعات العنب والأشكال الهندسية الموزعة داخل مناطق، وعثر أيضا على عدد من الكؤوس والقنينات والأباريق ،تزينها زخارف محفورة.[3]
ووصلتنا من القرنين الثامن والتاسع الميلادي مجموعة من قطع الزجاج الإسلامي، وهي عبارة عن زجاجات صغيرة رقيقة لحفظ العطور أغلبها منشوري الشكل وتزين سطحها تحزيزات أفقية ورأسية تكوّن بتقاطعها أشكالاً كرؤوس الأضراس، وصنعت هذه القنينات من الزجاج المختلط بالرصاص ما أكسبها لوناً مائلاً إلى الزرقة أو الخضرة.[4]

[1] حسن:زكي محمد، مرجع سابق، ص 492.
[2] ديماند، مرجع سابق، ص ص233-234.
[3] نفس المرجع، ص232.
[4] نفس المرجع، ص233.

وفي متحف برلين توجد قنينة من الزجاج في حامل الزجاج على هيئة جمل، ترجع إلى القرن الثامن الميلادي، هذه القنينة مثال لنوع من الأواني الصغيرة المركبة فوق حيوان أو طائر، والإناء خالٍ من الزخرفة ،ولكن الخيوط المتعرجة المضافة إلى بدنه تبدو كأنها تضمه إلى ظهر الكتلة الزجاجية التي تمثل الجمل، وفي نفس المتحف هناك إناء صغير من الزجاج الإسلامي وقوام الزخرفة في هذه التحفة خيوط زجاجية و أقراص مضافة تؤلف حلزونات كبيرة.[1]

ومن التحف الزجاجية التي ترجع إلى العصور الإسلامية المبكرة يحتفظ متحف المتروبوليتان بنيويورك بإبريق كامل صغير عليه زخارف من كتابة كوفية وصفين من الأقراص أو الورديات البارزة، أما بدن الإبريق فمصنوع في قالب من جزأين وكانت هذه الطريقة مألوفة في العصور الإسلامية الأولى.[2]

**الزجاج الإسلامي المبكر في المغرب والأندلس:**

كشفت الحفائر الأثرية في بلاد المغرب والأندلس عن قطع كثيرة من الزجاج مابين صغيرة وكبيرة وملونة وغير ملونة، ومن الصعب علينا تكوين فكرة واضحة عن أشكال جميع الأواني الزجاجية، إلا أننا نتخيل بعض هذه الأشكال عن طريق رسوم الأواني المنقوشة على التحف الأخرى.[3]

أما بقايا الزخرفة التي نشاهدها على هذه القطع من الأواني الزجاجية في المغرب والأندلس فكانت في زخارفها شبيهة إلى حد كبير بالأواني المشرقية ،فمن هذه القطع ما هو مزين بالخدش ،ومنها ما يزداد التشهير، ومنها ماهو مضلع أو مقطوع، أو مزين بزخارف كتابية وحيوانية ونباتية قد طبعت على الزجاج وهو لين بطريقة الضغط بواسطة آلة خاصة.[4]

---

[1] حسن: زكي محمد، مرجع سابق، ص 492.

[2] ديماند، مرجع سابق، ص 231.

[3] مرزوق، محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م، ص206.

[4] نفس المرجع، ص ص 206-207.

ومن التحف الزجاجية الأندلسية كأس سان توربيو المعروض في كاتدرائية أستورقة وهو ذو جسم كروي ورقبته مكسورة وقاعدته مستديرة قطرها 9.0 سم، وقد أظهرت حفائر الزهراء أمثله من الأواني الزجاجية نذكر منها إناء يزدان بزخارف تذكرنا بطراز سامراء المثلث ،وإناءان آخران يزدان كل منهما بزخارف على هيئة الدوائر.[1]

**الزجاج الفاطمي:**

وقد ارتقت المصنوعات الزجاجية في العصر الفاطمي رقيّاً كبيراً وضع بين أيدينا تحفا فنية لا تعد ،منها كؤوس وقماقم وصحون وأباريق، لعل أشهرها وأعظمها قيمة من الناحية الفنية الزجاج المذهب والمزين بزخارف تبدو كالبريق المعدني.[2]
ولقد شاعت في العصر الفاطمي صناعة أوانٍ من الزجاج السميك ذات زخارف مقطوعة، ومن هذا النوع توجد مجموعة من الأقداح اشتهرت باسم القديسة هدفيج موزعة حالياً بين المتاحف الأوروبية والمجموعات الخاصة، ولقد استخدمت بعض هذه الأواني ذات الزجاج السميك في الكنائس لأغراض دينية، حيث رجح العلماء نسبة صناعة هذه الأواني إلى مصر في العصر الفاطمي، وذلك اعتماداً على تشابه زخارفها الحية مع زخارف أواني البلور الصخري الفاطمي، واستخدم الأوروبيون هذه الأواني في الأغراض الدينية بالرغم من وجود كتابات عربية بالخط الكوفي عليها.[3]
وقد وصلت صناعة الزجاج إلى قمتها في مصر وسوريا منذ القرن الثاني عشر ميلادي، فابتكروا أباريق وكؤوساً وقناني، وأضافوا إليها البريق المعدني (والذهبي والفضي)، وزخرفوها بزخارف هندسية أو نباتية أو حيوانية، وكانت أهم مراكز

[1] نفس المرجع، ص 209.
[2] الرفاعي، أنور، مرجع سابق، ص160.
[3] علاَم، نعمت إسماعيل، مرجع سابق، ص ص 25-26.

الإنتاج هي مدن حلب والخليل وصور ودمشق والفسطاط وأشمون والفيوم والإسكندرية.[1]

واستعمل الفاطميون لزخرفة و تشكيل الزجاج عدة أساليب منها النفخ والضغط والخيوط الرقيقة والقطع، وقد اشتهرت مصر في العصر الفاطمي بصناعة الأواني من الزجاج السميك الثقيل ذي الزخارف المقطوعة والمضغوطة، وتتكون الزخارف من طيور وأسود وأشجار وعناصر نباتية متنوعة.[2]

## الزجاج في العهد الأيوبي والمملوكي:

بلغت صناعة التحف الزجاجية أوج عزها في الشام ومصر برعاية سلاطين العهد الأيوبي والمملوكي، وكان فخر هذه الصناعة تزيين التحف بالزخارف الذهبية المموهة بالمينا، وبرزت في هذا مدينة الرقة، وأبدع ما وصلت إليه الأساليب الصناعية في هذا المجال صنع المشكايات ومنها أمثلة كثيرة موزعة بين المتاحف العالمية والمساجد الكبرى في مصر وبلاد الشام.[3]

وبلغت الأواني الزجاجية في فترة حكم الأيوبيين قمة مجدها الزخرفي في حلب ودمشق، وكانت هذه الأواني تزين بالزخارف المذهبة والمموهة بالمينا، ولقد ظهرت من هذه الفترة أوانٍ زجاجية غاية في الدقة والإتقان، وانتشر في زخرفتها استخدام الرسوم الآدمية والحيوانية التي كانت شائعة في خزف الري واشان في العصر السلجوقي.[4]

بدأ العصر الذهبي لصناعة الزجاج الإسلامي في ختام القرن الثاني عشر الميلادي، وكانت قمة تلك الصناعة في القرن الثالث عشر الميلادي، و امتد إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، فتطورت صناعة الزجاج المذهّب والمطلي بالمينا في سوريا زمن الأيوبيين والمماليك، وأعجب الحُجّاج

[1] الألفي، أبو صالح، مرجع سابق، ص272.

[2] نفس المرجع، ص272.

[3] الرفاعي، أنور، مرجع سابق، ص ص160 –160.

[4] علاَم، نعمت إسماعيل، مرجع سابق، ص 198.

والمحاربون الصليبيون بهذه الأواني الزجاجية وزخارفها الفنية الجميلة وألوانها العديدة الرائعة ،وعادوا إلى ديارهم بالكثير منها، وهو ما نراه الآن ضمن كنوز الكنائس والمجموعات الخاصة والمتاحف الأوروبية.[1]

ويتضح من زخارف الأواني الزجاجية التي صنعت في أوائل العصر المملوكي استمرار ظهور بعض الأساليب الأيوبية إلى جانب بعض العناصر المغولية التي عاصرت العصر المملوكي، ومن أجمل ما أُنتج بكثرة في العصر المملوكي قناديل زجاجية والتي كان الحكام المماليك والأمراء آنذاك يأمرون بصُنعها لتوضع في المساجد، وكانت هذه القناديل من الزجاج المموه بالمينا ولها شكل مميز وتعرف باسم المشكاوات، ومن أجمل الأمثلة على ذلك مشكاة مزيّنة بزخارف كتابية ذات حروف كبيرة بالإضافة إلى زخارف جامات رنوك الحكام والزخارف النباتية الطبيعية والبراعم الصينية.[2]

وتعتبر المشكاوات الزجاجية المموهة بالمينا في العصر المملوكي في مصر وسوريا فخر صناعة الزجاج، حيث أقبل سلاطين المماليك على اقتنائها وتزيين المساجد بها، وزجاج المشكاوات أبيض مائل إلى الصفرة القاتمة، أما المينا التي زخرفت بها فحمراء وزرقاء وخضراء وبيضاء، وتتألف زخارفها من كتابات داخل مساحات أو مناطق معينة، مع تخصيص منطقة لرسم الرنك الخاص بالسلطان صاحب المشكاة، أما سائر بدن المشكاة فمزخرف بشبكة نباتية رقيقة، وأحيانا تُرسم هذه الزخارف النباتية على أرضية مذهّبة، ومن أجمل المشكاوات الزجاجية المجموعة الموجودة بمسجد السلطان حسن بالقاهرة.[3]

وشاراتهم، وتعتبر مجموعة متحف المتروبوليتان من الزجاج ذات أهمية كبيرة، إذ تضم صينية وثلاثة عشر مشكاة وعشر وأواني كبيرة وزجاجات وأكواباً وعدداً من

[1] ديماند، مرجع سابق، ص ص 237-238.

[2] علاَم، نعمت إسماعيل، مرجع سابق، ص ص 292-294.

[3] الألفي، أبو صالح، مرجع سابق، ص ص 272-274.

الكؤوس الصغيرة وزجاجات العطر، وشاع في زخرفتها استخدام المواضيع الآدمية والحيوانية والزخارف النباتية والكتابية.[1]

ويوجد في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة مشكاة من الزجاج المموه بالمينا باسم السلطان المملوكي الأشرف خليل، وعلى بدن هذه المشكاة كتابة بخط النسخ المملوكي تدل على أنها صُنعت بعد وفاة السلطان الملك الأشرف خليل (1294م)، ولكن الملاحظ أن زخارف هذه المشكاة وأسلوب صناعتها يختلف عن المألوف في المشكاوات في القرن الرابع عشر الميلادي.[2]

كما وجد في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة أيضاً مشكاة من الزجاج المموه بالمينا باسم السلطان حسن في القرن الرابع عشر الميلادي يبلغ ارتفاعها 40.5 سم، تتألف زخرفة هذه المشكاة من شريط كتابي حول العنق وشريط عريض حول البدن يضم رسوماً جميلة من الرقش العربي، فضلا عن جامات حول العنق فيها خرطوش باسم السلطان حسن.[3]

## الزجاج الصفوي والمغولي:

ظهرت ببلاد إيران نهضة في صناعة الزجاج في العصر الصفوي خلال حكم الشاه عباس (1587–1628م)، على أن التحف الزجاجية كانت تصنع في مدن شيراز وأصفهان، وأن شيراز أنتجت خير ما صنعت بلاد إيران منها، وأكد ذلك أقوال الكثير من الرحالة الذين تحدثوا في كتب أسفارهم عن شهرة تلك المدينة وامتيازها في صناعة الزجاج.[4]

وفي إيران فقد سايرت صناعة الزجاج التطور الذي جرى في الشام ومصر حتى عهد المغول فترة حكم تيمورلنك الذي جمع في سمرقند نخبة من أمهر رجال هذه

[1] ديماند، مرجع سابق، ص 293.

[2] حسن:زكي محمد، مرجع سابق، ص 495.

[3] نفس المرجع، ص497.

[4] ديماند، مرجع سابق، ص 247.

الصناعة السوريين أبرز بهم اسم المدينة هذه المدينة في مجال صناعة الزجاج، ثم تلتها مدينة شيراز في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي.[1]

لقد كانت صناعة الزجاج بإيران في بداية القرن التاسع عشر ميلادي على جانب كبير من التقدم والنجاح، فالنوافذ الزجاجية والقنينات والكؤوس المصنوعة بشيراز وبالرغم من أنها لم تكن نوعا فاخرا إلّا أنها طُلبت في كل أنحاء البلاد، ويملك متحف المتروبوليتان من نتاج العصر المغولي المتأخر مجموعة كبيرة وجميلة من زجاجات الزينة والقنينات والأباريق والزهريات مختلفة الأشكال تعود إلى القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي.[2]

أما الألوان السائدة في تلك التحف فهي الأبيض والعسلي والبنفسجي والأخضر والأزرق، وعلى بعض الأواني زخارف مرسومة ومذهبة وعلى بعضها الآخر حليات مضافة، وفي الزخارف المرسومة والمذهبة خشونة واضحة، وأحسن القطع ما اعتمد في جماله وتأثيره على جمال الشكل ولون الزجاج نفسه.[3]

**الزجاج في العصر العثماني:**

الواقع أن العثمانيين اكتفوا في مجال الصناعات الزجاجية أول الأمر بالاستيراد عن التصنيع، وكانت مدينة البندقية ومنطقة بوهيميا في مقدمة البلاد التي كانت تقوم بتوريد التحف الزجاجية إلى الدولة العثمانية، وكان معظمها من الدوارق والسلطانيات والكؤوس التي تزدان بالزخارف البارزة أو الزخارف المدهونة.[4]
ومن أجمل التحف الزجاجية العثمانية مجموعة من الأواني المختلفة الأشكال مصنوعة من الزجاج الحليبي اللون المزين بالألوان المختلفة، وفي متحف

[1] الرفاعي، أنور، مرجع سابق، ص161.
[2] ديماند، مرجع سابق، ص 247.
[3] نفس المرجع، ص248.
[4] مرزوق، محمد عبد العزيز، مرجع سابق، ص144.

طوبقايو وفي متحف الإسلامي بالقاهرة أمثلة رائعة من زجاج بوهيميا الذي كان يصنع للخلفاء والأمراء والأغنياء يتجلى فيها جمال الشكل وروعة الزخارف.[1]

**إبريق من البلور متحف فكتوريا وألبرت بلندن عن حسن: (1981م: 252)**

**إبريق من البلور الصفري من مصنع القرن الحادي عشر في متحف اللوفر باريس عن حسن: (1981م:252)**

**إناء رجاجي من إيران عن حسن: 1981، 252**

**إبريق من البور في كاتدرائية سان مارك بمدينة البندقية عن: حسن،1981: 258**

[1] – نفس المرجع، ص144

**إناء زجاجي من إيران**

**عن حسن: 1987م : 258**

**الزجاج المموه بالمينا العصر المملوكي**

**عن حسن : 1981 م 254**

**مشكاة من الزجاج من العصر المملوكي**

**عن حسن : 1981 م 254**

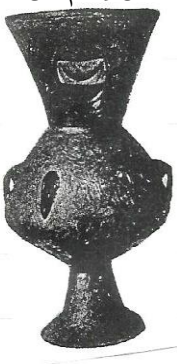

**مشكاة من الزجاج من العصر**

**عن حسن: 1981 م، 254 .**

**إناء زجاجي**

**حسن: 1981 م، 254.**

**إناء زجاجي**

**حسن: 1981 م، 254.**

**مشكاة من الزجاج المموه بالمينا، متحف اللوفر في باريس**
**عن حسن: 1981 م، 257 .**

**الخاتمة:**

تعتبر التحف البلورية والزجاجية من التحف المهمة التي عرفتها الفنون الإسلامية، فقد أظهر الفنان المسلم فيها إبداعاته وابتكاراته الفنية، ونظراً لندرة مادة البلور الخام وسهولة انكسار مادة الزجاج، فقد فُقدت في الوقت الحاضر العديد من هذه التحف الزجاجية والبلورية، ولم نجد منها إلا القليل، وخاصة تلك التي صنعت في الفترة المبكرة، كالعصرين الأموي والعباسي.

نستنتج من خلال ما كشفته لنا الأبحاث والدراسات والتقنيات الأثرية حول هذا الموضوع أن صناعة الزجاج والبلور كانت معروفة قبل الإسلام، وأن صنّاع الزجاج والبلور في بلاد مصر والشام برعوا وأتقنوا صناعته منذ زمن مبكر، وكان من أبرز المدن التي لها خبرة وممارسة ساهمت في تفوق صناعة الزجاج مدن الفسطاط والفيوم والإسكندرية في مصر، وحلب ودمشق وغيرها في بلاد الشام.

وقد شهدت الدولة الإسلامية منذ عصورها المبكرة صناعة الزجاج والبلور، واستمر الفنانون المسلمون في صناعتهم على أساليب الصناعة السابقة، وشكلت التحف الزجاجية عن طريق النفخ في الهواء، أو النفخ في القالب، وكذلك بواسطة العجلة.

وفي الجانب الزخرفي يتضح لنا أن التحف الزجاجية التي ترجع إلى العصر الأموي والعباسي في غالبيتها خالية من الزخرفة، أو مزخرفة بزخارف على شكل الخيوط البارزة والأقراص والكتابات وأشكال خلايا النحل والحيوانات.

كما زخرف الأواني الزجاجية عن طريق القالب والمنقاش والمينا والبريق المعدني، وعن طريق القطع والختم وغيرها.

أمّا التحف الزجاجية التي جاءتنا من بلاد المغرب والأندلس فهي لا تختلف كثيراً عن التي عُرفت ببلاد الشام ومصر، وهنا يمكن القول أن صناعة الزجاج اقتصرت بالدرجة الأولى في بلاد الشام ومصر، هذا مما أعطى للتحف الزجاجية سمة التشابه، من حيث التشكيل والزخرفة.

ونلاحظ أن صناعة التحف البلورية والزجاجية بلغت ذروتها في نهايات عهد الدولة العباسية، حيث صنع الفنانون المسلمون آنذاك العديد من التحف البلورية والزجاجية الرائعة، ويرجع ذلك إلى حب الخلفاء والفنون والتحف الزخرفية على وجه الخصوص.

من هنا... فإننا نوصي الباحثين في مجال صناعة البلور والزجاج الإسلامي أن يهتموا بدراسة تفاصيل هذا الفن الراقي ويعتنوا بالمحافظة على التحف البلورية والزجاجية القليلة الباقية، والتي من خلالها يمكننا التعرف على مجموعة كبيرة من القيم الفنية للحضارة الإسلامية، والتي بلغت أوج مجدها في كل المجالات، سيّما مجال صناعة الزجاج و البلور والذي نافس بها الفنانون المسلمون فناني أعظم الحضارات السابقة للإسلام و تفوقوا عليهم.

## قائمة المصادر والمراجع:


الألفي، أبو صالح (1984). الفن الإسلامي، ط2، دار المعارف، القاهرة.

البستاني، كرم وآخرون ( 1982). قاموس المنجد في اللغة والأعلام ، ط2، دار المشرق، بيروت– لبنان.

حسن، زكي محمد (1981). أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت.

ديماند (1982). الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، ط2، دار المعارف ، القاهرة .

الرفاعي، أنور (1973). تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، دار الفكر، القاهرة.

الطايش، علي أحمد (1999). الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة، دار زهراء الشرق، القاهرة.

علاَم، نعمت إسماعيل (1982). فنون الشرق الأوسط، ط2، دار المعارف، القاهرة .

كونل، أرنست (1966). الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، دار صادر بيروت .

مرزوق، محمد عبد العزيز (1987). الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .

مرزوق، محمد عبد العزيز (1995). الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت.